



مجانا مع جريدة السفير

ياروسلاف سيفرت

أن تكون شاعراً

ترجمة:

اسكندر حبش



الكتاب للجميع

١٤٣

ياروسلاف سيفرت

أن تكون شاعراً

ترجمة: اسكندر حبش

طبعة خاصة
توزّع مجاناً مع جريدة (السفير)

دار المدى للثقافة والنشر

٢٠١٣



مجاناً مع جريدة السفير



الكتاب للجميع

■

شركة السفير: ش.م.ل.

رئيس تحريرها: طلال سلمان

المدير العام: ياسر نعمة

مدير التحرير: ساطع نور الدين

المدير المسؤول: غاصب المختار

■

التحرير والإدارة: شارع منيمنة / الحمراء/ بيروت

فاكس ٣٥٠٠٠٥ - ٧٤٣٦٠٢

ص.ب: ١١٣/٥٠١٥/الحمرا - بيرون ١١٠٣٢٠١٠

انترنت http: //www.assafir.com

Coordinator@assafir.com

- تمّت الطباعة في مطابع جريدة السفير

- تلفاكس ١/٢/٣/٤ - ٧٤٢٦-٩٦١+

سلسلة شعبية تعيد إصدارها

دار المدى للثقافة والنشر



رئيس مجلس الإدارة والتحرير

فخري كريم

بيروت - الحمراء - شارع ليون - بناية منصور
الطابق الأول ـ تلفاكس: ٧٥٢٦١٦ ـ ٧٥٢٦١٧

www.daralamada.com Email: info@daralmada.com

سورية - دمشق ص.ب.: ٨٢٧٢ أو ٧٢٦٦ -
تلفون: ٢٣٢٢٢٧٥ ـ ٢٣٢٢٢٧٦ ـ فاكس:

Al Mada Publishing Company F.K.A. - Damascus - Syria
P.O. Box : 8272 or 7366. - Tel: 2322275 - 2322276 - Fax: 2322289

بغداد ـ أبو نواس ـ محلة ١٠٢ ـ زقاق ١٣ ـ بناء ١٤١
مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
Email: almada112@yahoo.com

الهيئة الاستشارية

المنجي بو سنينة
تركي الحمد
جابر عصفور
خالد محمد
أ؛حمد
خلدون النقيب
سيد ياسين
طلال سلمان
علي الشوك
فؤاد بلاط
محمد برادة

وهبني القدر
هذا الشقاء الناعم
أن أكون
شاعرا...
فاتسلاف شولك

"وداعا أيتها الحياة التي نحبك"

"أن تكون شاعرا" هو الديوان الأخير، من الدواوين الخمسة والعشرين، التي نشرها الشاعر التشيكي ياروسلاف سيفرت، الذي توفي في براغ في 10 كانون الثاني من العام 1986 عن عمر يناهز 84 عاما. كان كتابه هذا، قد صدر العام 1983، في عدد من النسخ لم تصل إلا لقلة من المعجبين بالشاعر. قبل ذلك بسنة، كانت مذكراته "كلّ جمال العالم" قد صدرت في طبعة لم تنجُ مطلقا من قسوة مقص الرقيب. من هنا، ثمة سؤال يطرح نفسه: لِمَ كلّ هذا الحذر تجاه عميد الشعر التشيكي الذي على قول رومان جاكوبسون، صديقه والمعجب به منذ العشرينيات كان قد "وصل إلى امتلاك مدهش للتقليد الشفهي والكتابي، للشعر التشيكي، كما وصل إلى أقصى إغراءات الطليعية، بالمعنى الأسمى للكلمة"؟

لو عدنا إلى التاريخ، لوجدنا ان الديوان هذا، نشر بعد 15 سنة من غزو جحافل حلف وارشو "لتشيكوسلوفاكيا"، الذي وضع حدا لآمال ربيع "براغ"، كما جاء قبل ست سنوات من سقوط جدار برلين. لم تكن شخصية الشاعر الوطني الكبير، محببة ل"الأبارتشيك" المُسيطرين على مقاليد الحكم طوال عشرين سنة

من "التسوية والإخضاع"، إذ كانوا يطالبون المواطنين بتصديق الأكذوبة، المتمثلة بالفكر الموحد، كما طالبوا الكُتّاب بأن يكونوا المثال على ذلك. من هنا، "حالفه الحظ"، حين حصل على جائزة نوبل العام 1984، فسُمح له، هذه المرة، بإعادة طبع ديوانه في.. ثلاثين ألف نسخة.

شجاعة وحرية

ثمة صفتان لازمتا الشاعر طوال حياته: الشجاعة وحرية الروح. هو ابن كاثوليكية متحمسة ومناضل اشتراكي. عرف سيفرت، خلال سنوات حياته الأولى تحت الإمبراطورية النمساوية/ المجرية الفقر، الذي ضرب عائلته، كما كل سكان الأحياء العمالية في براغ، وخاصة حيّ "جيجكوف" حيث ولد في 23 أيلول من العام 1901. ولحيّ "جيجكوف" مكانة بارزة في التشكلّ الاجتماعي، إذ انه حيّ الطبقة العاملة وحانات البيرة الرخيصة والمراقص الشعبية، كما انه عالم البؤس والاستغلال والخطيئة، مع العلم بأن الصفات النبيلة كالأصالة والوفاء والعمق والصدق... ليست بصفات غريبة عن سكانه.

وعلى الرغم من إرادة والديه، الذي كان يحبهما بإخلاص، غادر الثانوية قبل حصوله على البكالوريا، ليخصص وقته للشعر والثورة الاشتراكية التي هزت العالم بعد انحدارها من الحرب العالمية الأولى.

في الثامنة عشرة من عمره، وبعد ان شارك فترة قصيرة في

الحركة الفوضوية، نشر أولى قصائده في صحيفة "حق الشعب" الاشتراكية الديموقراطية. بعد ذلك بسنة، انحاز إلى تشكيل المجموعة الطليعية "ديفيتسيل" التي أعطت لنفسها هدف "النضال من اجل حياة جديدة، وكان من بين أعضائها، فنانون وشعراء وكتاب ورسامون، مثل "فلاديسلاف فانكورا"، "كارل شولتس"، "فيتسلاف نيتزفال"، "جيري ولكر"، "قسطنطين بيبل"، "فرانتسيك هالاس"، "توايان"، "ادولف هوفمايستر"، وآخرون عديدون مثّلوا جميعا ذلك الجيل الكبير الذي أسس لحداثة كبيرة في الأدب التشيكي الحديث. "كارل تيج" صديق سيفرت كان منظر تلك الحركة وروحها، وكان ناقدا أدبيا وفنيا. انتسب سيفرت إلى الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي الذي انفصل عن الحزب الاشتراكي الديموقراطي العام 1921.

مدينة الدموع

في تلك السنة بالذات، نشر سيفرت أول دواوينه "مدينة الدموع". يومها، كان يعتبر نفسه شاعرا بروليتاريا، وهي لافتة جُمع تحتها، العديد من كبار الشعراء في عشرينيات القرن العشرين، أمثال "جوزف هورا"، و"س. ك. نيومان" و"جيري ولكر"... وبدءا من العام 1922، أدار سيفرت مع "تيج"، نشرة المجموعة التي على علاقة مباشرة مع الطليعة الفرنسية والروسية. وفي العام 1924 قام برفقة "تيج" وآخرين من "الديفيتسيل" برحلة إلى باريس، وفي 1925 إلى موسكو. بيد ان الموقف الجمالي، لهذه المجموعة،

ابتعد في تلك الفترة عن "الشعر البروليتاري". إذ وجدوا تعبيرا عن موقفهم الجديد في مصطلح "الشعرنة"، الذي صار عنوانا لحركة فنية لا ترغب في "إبداع عالم جديد، ولكن تنظيم العالم الموجود بشكل يتحول فيه الى قصيدة حية". ساهم سيفرت بحماسة، في تهيئة بيانيْ "الشعرنة" (1924 و1928)، وأصبح مع "فيتسلاف نيتزفال"، أحد أقطاب هذا "الشعر الجديد الذي نذر نفسه للثورة الثقافية". إلا أن سيفرت بخلاف "نيتزفال" و"تيج" و"بيبل" و"ماكوفسكي" و"توايان" الخ... لم يلتحق بالجماعة السوريالية التي تشكلت في براغ العام 1934 والتي عملت بحماسة مع السورياليين الفرنسيين. في اللحظة التي أصبحت فيها السوريالية الفرنسية بفضل بيانها الثاني العام 1929 مقبولة من قبل الفنانين الشيوعيين التشيك. كان سيفرت، من بين سبعة شعراء وكُتّاب، قرروا ترك الحزب الشيوعي احتجاجا على انحرافه والتحامه بالستالينية، بقيادة "كليمنت غوتوالد"، الذي خطط في ما بعد، لضربة براغ العام 1948. ونظرا لموقفه النقدي لإدارة الحزب الجديدة، طرد سيفرت من المجموعة (ديفيتسيل) التي سيطر عليها "تيج" و"نيتزفال". وبخلاف كثيرين، لم يحاول سيفرت مجددا، استعادة الصلة بالحزب. في تلك الفترة، فترة مرحلة "الشعرنة" أصدر الشاعر 4 مجموعات، هي: "لا شيء غير الحب" (1923) و"على موجات ت.س.ف" (1925) و"العندليب يغني بشكل سيئ" (1926) و"حمامة البريد" (الحمام الزاجل) (1929) وتبعها كتاب مذكرات عن مرحلة الطفولة والشباب "النجوم فوق حديقة الجنة". لم يكن عمر الشاعر آنذاك سوى 28 عاما.

القوافي العليمة

في الثلاثينات، نشر سيفرت خمسة دواوين هي "التفاحة التي سقطت من الحضن" (1933) و"يدا فينوس" (1936) و"أنشد على آلة الروتاتيف" (1936) و"وداعا أيها الربيع" (1937) و"أطفئوا الأنوار" (1938) وقد عمل كثيرا، في دواوينه هذه، على "الشكل الصافي والبسيط للأغنية"، كما على "القوافي العليمة" أو "الاكزوتيكية" التي لم تكن مستعملة كثيرا في الشعر التشيكي. في تلك الفترة، كانت موضوعات قصائده، تتمحور حول "ثيمات" أساسية، والكلمة المفتاح هي الحب: حب المرأة، الوالدين، براغ ووطنه الذي كان في "خطر الموت" حين صدرت المجموعة الأخيرة.

أثناء الاحتلال الألماني، وضع الشاعر ريشته في خدمة الوعي الوطني. استدعى في قصائده، شجاعة الأجيال السابقة التي قاومت الهيمنة السياسية والقومية واللغوية، حرّض الشعب على أن يكون فخورا بتاريخه، أعطاه الأمل. خصص ديوانيه اللاحقين "مرتدية الضوء" (1940) و"جسر الحجر" (1944) لمدينة براغ، عاصمة مملكة "بوهيميا" القديمة، التي كانت في رأيه، ترمز، بماضيها المجيد، إلى خلود الأمة التشيكية.

بعد الحرب، ازدادت شعبية الشاعر، وبخاصة بعد 1949، لدرجة انه استطاع ان يخصص وقته للكتابة فقط. استمر في نحت أسلوبه الكلاسيكي المتأني، ووضع مكان المواضيع "الوطنية" موضوعاته

المفضلة: المرأة، الحب، الزمن الذي يمضي، موضوعات غناها الشاعر بتلك "الخفة الماهرة".

في العام 1950، وكما "تيج" و"هورا" و"هالاس"، لم ينج سيفرت من الهجوم النقدي العنيف الذي شنته عليه الماركسية، إذ أخذت عليه ماضيه الطليعي، كما أخذت عليه عدم التزام شعره، لمتطلبات الواقعية الاشتراكية، المذهب الوحيد المقبول يومها من قبل الايديولوجيا الحاكمة. لم ينجر الكاتب إلى ذلك. في مؤتمر اتحاد الكتاب "التشيكوسلوفاك" العام 1956، كان سيفرت أول الذين نددوا بجرائم "الستالينية" وأول المطالبين بإعادة العدل وإخراج الكتاب والشعراء المسجونين. في هذه السنة المرعبة، صدرت مجموعته "الصبي والنجوم" وأهداها إلى رسام عزيز على قلبه: جوزف لادا. ثم سكت الشاعر لمدة 9 سنوات.

الاختلاف

حين صدرت مجموعته "حفل على جزيرة" العام 1965، بدا شعره مختلفا بشكل جذري. تخلى عن العروض الكلاسيكي، وعاد إلى البيت الحر كما في ديوانه الأول، بدا أسلوبه ناضجا عبر 40 سنة من الكتابة. بعد سنتين، صدر "مذنب هالي" و"سبك الأجراس".

بعد الاجتياح السوفياتي العام 1968، قبل سيفرت، بشجاعة، انتخابه "رمزيا" على رأس اتحاد الكتاب، الذي ضم أنصار ربيع براغ. بقي في منصبه هذا، بالرغم من تهديدات السلطة، حتى

عام 1970. في العام 1979، نشر "مظلة البيكاديللي" وفي 1981 "عمود الطاعون"، وديوانه الأخير هذا، يحيلنا إلى الحقبة "الباروكية" التي تمثل للأمة التشيكية التي أذلت بفقدانها سيادتها الوطنية "زمن الظلمات".

وقع سيفرت ميثاق 77 مع "هافل" و"هرابال" وآخرين، ملتحقا بذلك بأولئك الذين طالبوا باحترام الحقوق المدنية المنصوص عليه في دستور البلاد، أي الذين تعرضوا لملاحقة الشرطة المستمرة وحتى السجن. من هنا نفهم لماذا بقي آخر كتب سيفرت "ان تكون شاعرا"، كتابا غير مرئي، في بلاده.

بيد أن شهرة الشاعر، تخطت الحدود التشيكوسلوفاكية المغلقة في تلك الفترة، لتصل إلى الغرب. في العام 1982، صدر له في السويد ديوانا شعريا، ما سمح للأكاديمية الملكية ان تميز قيمته الشعرية فمنح جائزة نوبل لـلآداب العام 1984 ورأى بعضهم ان الجائزة هذه، تكريم لجيل طويل من أولئك الكبار في الشعر التشيكي الحديث، وكان سيفرت الوحيد الذي لا يزال على قيد الحياة بينهم. بينما رأى آخرون، وكما العادة، الدور والبعد السياسيين للجائزة، وبخاصة ان الشاعر كان حاضرا في جميع الأزمات التي مرت على بلاده منذ الستينات. على كل، في بيان الجائزة نقرأ عبارات اللجنة الملكية التالية: "اكبر شاعر وجداني خلال ألف سنة في الأدب التشيكي"، كما انه "معلم كبير من معلمي الشعر العالمي"، كذلك هو "إنسان، وطوال حياته، بقي مناضلا شجاعا، لا يكل، دفاعا عن حرية الإنسان من اجل حرية شعبه".

ان تكون شاعرا

في شعره كله، كان سيفرت، شاعر الحب: حب الإنسانية، المرأة، الأهل، الأصدقاء، الشعب، الطبيعة، حب العدالة والحقيقة، وهما رمزان تعذب من أجلهما الشعب التشيكي لفترة طويلة، من دون ان يتردد في إراقة دمه، من اجل ذلك.

مع "أن تكون شاعرا"، يعود الشاعر إلى مراهقته، إلى حبه الأول، يتذكر سنوات الحرب السوداء، ليطلق نداءً حارا للسلام. وكما دواوينه الأخرى (أو القسم الأكبر منها)، نجد ان مدينته براغ حاضرة بقوة في هذا الكتاب، والشاعر يستدعي ويتذكر كل أولئك الذين اغرموا بها قبله، "موتسارت" و"ماشا"، فضلا عن الكتاب والشعراء المعاصرين الذين رحلوا عن الوجود. عبر قصائده هذه، الأخيرة، المليئة بالأحاسيس، يصل سيفرت إلى قمة فنه (على قول الناقدة "يانا بوشبرغر") كما يقدم فيها، وداعه للحياة التي طالما أحبها.

قد يكون ياروسلافا سيفرت، من أولئك الشعراء الذين ينبغي عليهم ان نقرأهم بلغتهم الأصلية، إذ ما من ترجمة إلى لغة أخرى، تستطيع ان تقدم هذه الصورة الحقيقية التي كان عليها الشاعر في وطنه. ثمة شعر، يبقى منه شيء، حين ينقل، وثمة شعر آخر، يضيع كليا.. سيفرت من شعراء الفئة الثانية، ربما، لأن اللغة حاضرة بقوة في عالمه الشعري.

أن تكون شاعرا

علمتني الحياة، منذ زمن طويل
أن أجمل الأشياء
التي يمكننا منحنا إياها:
الموسيقى والشعر
إن استثنينا الحب بالطبع.

في كتاب مختارات قديم
نشره مستودع كتب صاحب الجلالة الملكية والإمبراطورية
سنة وفاة فرشيكلي،
وجدت بحثا عن الفن الشعري
والمحسنات الأسلوبية.

إذ ذاك، وضعت زرّ ورد في كأس
أشعلت شمعة
وبدأت كتابة قصائدي الأولى.

لتنبثقي إذا يا شعلة الكلام،
ولتضطرمي
ما همّ إن أحرقت أصابعي!

استعارة مدهشة تساوي أكثر
من خاتم ذهبي في اليد.
ومع ذلك، فإن موجز عروض بوشماجر
لم يقدم لي أي مساعدة.

سدى، لملمت الأفكار
وأطبقت جفنيّ بتشنج
لأسمع أول بيت عجائبي.
بدلا من الكلمات، شاهدت
في الظلام ضحكة امرأة وشَعرا
طافيا في الهواء.

ذاك هو قدري.
ركضت خلفها – حتى انقطعت أنفاسي –
حياتي كلها.

قصيدة وجدت فوق سجادة مطرزة.

براغ!
في قلب الذي لم يرها إلاّ مرّة واحدة
على الأقل، يصدح اسمها
إلى الأبد.هي نفسها أغنية منسوجة بالزمن
ونعشقها
فلتصدح!

كنت لا أزال سعيدا، أحلامي الأولى
لمعت كصحون طائرة
فوق سطوحها
ثم اختفت، وحده الله يعلم أين،
يومها كنت شابا.

ذات يوم، أسندت وجهي
على حجر حائط قديم

في ناحية ما، فوق باحة قلعتها
حين سمعت فجأة
هديرا كئيبا.
إنه رعد القرون الغابرة
لكن صفائح الجبل الأبيض
الفاترة والحنونة
همست بحنان في أذني.
امضِ! ستكون مسحورا.
غنِّ! لديك من يستمع إليك.
لكن لا تكذب!

مضيت ولم أكذب.
إلا قليلا، عليكن،
يا حبيباتي.

عذراء جيجكوف

من ثم أتى شهر أيار؛
ترك الربيع
أشعته المزهرة تتسخ
على سقوف بنايات المستأجرين
فتسقط أمي على ركبتيها
فوق بلاط كنيسة القديسة أدالبير
لتصلي للعذراء.
كانت أقرب إليها، في أيار، من أي يوم آخر.

مقوسة الظهر أمام المذبح
تشبه أكواما
من الثياب المهملة.
— أصلي من أجلك أيها العاق!
وأنا، أبتسم في سرّي.

في المدرسة، كنت أحب اللاتينية.

كنا نقرأ فيرجيل.
ترن في رأسي إيقاعات
الشعراء الرومان.
بدأت بدوري، أكتب الأشعار.
كنت أتنزه وأنا أغني.
بصوت خفيض. بصوت سيء.

كنت أكره الرياضيات
أشعر بالخوف
عند كل امتحان
وفي الليل، أستدير على نفسي، في السرير
بلا توقف.

للحظات فكرت بالصلاة
لكني، بسرعة، دفعت عني الفكرة
لأحسست بالعار
فيما لو طلبت مساعدة السماء.
حتى جاء اليوم، الذي شعرت فيه، فجأة
بالرعب.
رعب أسود.

تذكرت إيمان أمي
وقلت لنفسي، بخوف:

لا أحد يعرف حقا!
ها أنا أتسلق درجات كنيسة جيجكوف
الباردة
حتى أصل إلى المذبح المغطى بالزنبق
لكن عطرها، بدا مرّا ذلك اليوم
كما لو أن على لساني
حليب الهندباء.

بسرعة صليت للعذراء
لكي ترأف!
لترأف بي وترحمني
ولترحم التي أحبها
التي كانت في الثامنة عشرة،
إذ أنها تائهة كروح متألمة
لا تأكل، لا تنام
حزينة تبكي
وتفضل الموت.
ولكي – أيتها الرحمة الإلهية – لا تحمل.

نظر إليّ تمثال العذراء
مباشرة في عينيّ.

بعد أيام فاضت الورود

على المذبح، بالعطر
كسابق عهدها.

وأنا، عدت وأحسست على شفتيّ
طعم قُبَلِ السعادة.

تقرير عن هدم بيت

إلى فاتسلاف سمكيال

لوهلة، بدا البيت كأنه يرغب في الركوع
ليطلب الرحمة،
لكن الأدراج البيضاء المؤدية إلى السقيفة
التي قادتني، في ما مضى، بدرابزينها
إلى الباب المفضل
انهارت لتوها
كلوح الوصايا المهشم.

اعترت رجفة خفيفة
بئر طفولتي
المهملة في زاوية
التي تشبه قيثارة منخورة بلا أوتار
قبل أن يختفي خلف غمامة سوداء.

بسرعة أضرم انفجار الذكريات
السريعة الاشتعال.
كأنها مخضبة بالوقود، اشتعلت كمصباح
وركضت معي
لترافق هروبي.

على بعد خطوات من هنا، كان – في الماضي –
ُنزل بيزوفكا حيث نذهب للرقص.
فوق باب المدخل، كانت هناك ستارة قرمزية
ذات تخاريم مذهبة
وحول الأعمدة، زهور من ورق.
أحيانا، تعزف الفرقة الموسيقية، ألحانا في الحديقة
إذ ذاك، نسمع أحيانا، النغم من بعيد
حتى وإن كانت النوافذ مغلقة.

كل ذلك انتهى من زمن طويل
حمله الشيطان
لكن، لسعادتنا، لم يتوقف زمن الرقص
إذ لا تزال تصدح الأغنية.
أنت أيضا، يا حبي، ابقي معي
وابتسمي
ابتسمي لي دائما
إلى أن أموت.

برج الإرسال

إلى فلاديمير ياشتل

إنه الخريف؛ فوق شرفة الكرمة
ترفرف فراشة مستوحدة
باحثة، تحت عنقود ضخم
عن الزهرة المستوحدة.
أجهل أمر العالم، لكن في بلادنا
يعشق الشعراء الدوالي.

كنت شابا ساذجا
وأحيانا، لا أعود إلى منزلي إلا في ساعة متأخرة.
كنت أتسكع لفترات
في شوارع المدينة القديمة.
في حين تنادي العاهرات على الأرصفة
المارين
كنت ألقي بصوت خفيض

أشعار حب
وكنت أشعر بأنني أتوه
بين كوكبة نجوم معروفة
وسط مجرة لامعة.

مثل وريقات وردة ذابلة
تطير الليالي
من حيواتنا بلا هموم
لتحط أمام أبواب الماضي المعتمة
ولا تعود
سوى ذكرى نصف شفافة.

كنت أعتقد أن الشعر،
في عيد دائم.
يحميني مثل ملاك حارس،
ليعرج معي في الغبار والطين
حافي القدمين.

في تلك اللحظة بالذات، كان عليّ أن أركع
إلى الأسفل، قرب الأرض
حيث كان مكاني.
صحيح، انه يسهر عليّ ليل نهار
لكنه لا يستطيع درء أي شيء.

أحيانا أعود إلى المنزل
عبر جبل بيترين الربيعي.
الحديقة مفتوحة حتى في الليل
حيث ألتقي بالعشاق.

حدث ذلك في صباح ربيعي،
منهك
جلست على مقعد مغطى بالندى
تحت قناطر من عطر طازج.

أمام بصري الصورة المعشوقة؛
خلف الستارة المنثنية بالضباب،
الذي بدأ يرشح في الفجر،
تقف الكاتدرائية والقصر.
أيها القصر، لا زلنا ننام.

أسندت رأسي على ذراعي
لأتأمل شجرة مزهرة
على بعد خطوات قليلة.
لم تكن الزهور تفتحت بعد،
وما من شخص ليغني له العندليب.

لحظنها،
ثمة أبيات، كنت حلمت بها،
عادت إلى ذهني.

رنّ البيت الأول بهدوء،
من ثم استعاد
آخر أغنيته
وجاء ثالث ورابع
مرتبطان ببعضهما برزمة أنيقة
لقافية لامعة.

إنها أغنية لك، يا معشوقتي،
أجمل من عقد اللؤلؤ
الذي تلفينه ثلاث مرات حول عنقك.
رغبت في أن أضعها، هذا الصباح، على ركبتيك
مثل قربان
لحبك المعذب.

لما وصلت الأغنية إلى نهايتها،
بسرعة، نهضت،
أسرعت بالعودة
عبر الدرب المُسوّر،

بين النسرين
والأسيجة ذات الشباك المعدنية المحيطة بالجنائن
مارا بالقرب من برج الإرسال
الذي ينظر إلى نافذتي.

بسرعة جلست إلى مكتبي
استللت قلما بيدي.
لكن، رباه!
لم أستطع عندها تذكر
بيت واحد.

وما زلت حتى اليوم، أبحث
عن أبيات ذلك الصباح الرائع.

أقراط من مرجان

كل ما يغادرنا
ويغور في الماضي
يفقد في طريقه جزءا كبيرا
من ملكياته.
يشجب الألم، ننسى الخطيئة،
يتخلل النبيذ
والقبل المسمرة تحت القبة السماوية
تصير إزعاجا.

عندما كنت أحلم بذراعيك،
كنت أبدع قصائد،
أذرع غرفتي
وألقيها على نافذة فارغة.
آه. أي قصائد هي!
لم تكن كثيرة الجودة؛
لكنها مليئة برغبة شرهة
وبكلمات شغوفة.

تضغطين راحتك على فمي
كي اصمت
وتدافعين بحدة
عن أذنتيك الصغيرتين المتفاجئتين
في حين طرف لساني
كان يتوه في ثنياتهما الزهرية
كما لو يضيع في متاهة.

غالبا ما كنت أنام على قلبك
متنشقا بشراهة عطر
جلدك الحارق.

للأحلام التي تقترب خلسة
كي تستحوذ على النائم في الظلام،
لون عينيك.
كانت زرقاوين
ولؤلؤتا المرجان الكتمد في أقراطك
كانت تستريحان بهدوء على جبهتي
مثل نقطتين من شمع الأختام.

اليوم، حين، اضع وجهي العجوز
في يديّ
أشعر بجلاء، فوق الأصابع،

باستدارة جمجمتي.
قبلا، لم أكن أفكر بذلك مطلقا
لم أكن أضع رأسي بين يدي البتة.
ما من سبب يدفعني لذلك.

والرغبة الرهيبة في الحياة،
حتى بلا فرح، حتى بلا أمل،
تربط بدون توقف أجنحة سوداء
على خوفي من أن لا أكون.

لكن حين أكون ميتا حقا،
من صمت الصلصال
إلى خطواتك، لن يتوقف
حبي من النحيب.

أغنية الفاصل الترفيهي

إن سُئلت
ما هي القصيدة
لاحترت عدة ثوان
ومع ذلك أعرفها جيدا!

غالبا ما عدتُ وقرأتُ الشعراء الراحلين
ومن وقت لآخر
كانت أبياتهم تضيء دربي
مثل شعلة في الظلام.

لكن الحياة لا تسير متماهلة
أحيانا، تهزنا من جميع الاتجاهات
وتركلنا.

غالبا، ما بحثت عن الحب تلمسا
مثل الذي فقد بصره

ومثل الذي – على أغصان شجر التفاح –
يبحث عن استدارة الفاكهة التي تحلم بها
راحة يده.

ومع ذلك، أعرف أبياتا
قوية كأنها تعزيمة للجحيم
تدفع حتى أبواب الجنة
همست لها بعينين مندهشتين.
كيف إذا لن ترفع الأيادي المذعورة الضعيفة
التي تمنع الأذرع
عن احتضان الحب!

لكن إن سُئلت امرأتي
ما هو الحب
لربما تهالكت من الدموع.

قصف مدينة كرالوبي

1 – كرالوبي مدينة غير جميلة..

كرالوبي مدينة غير جميلة
لم تكن كذلك مرة.
نبتت في محيطها مداخن
شبيهة بأشجار وحشية بلا أغصان
بلا أوراق وبلا زهور، بلا نحل
وبلا عصافير.

حين ننزل من القطار،
ونحن لا نزال على درجات القاطرة بعد
نشم الرائحة العذبة
لمعمل "ماجي"
كان قريبا من المحطة جدا.

إلا أنني، كنت أسرع، لا أضيع ثانية
باتجاه باب صامت
حيث بانتظاري أذرع عديدة.
كليٌّ السعادة، أدع نفسي أسقط فيها.

حتى اليوم، وقد مرّ على ذلك سنين عديدة
حين أغلق عينيّ
وأتفحص عتمة جفنيّ الشفافة
أرى وجوه الذين أحببتهم
تنبثق مبتسمة.

لكنها وجوه شاحبة
مثل نور النجوم في ما بعد ظهيرة يوم شتائي
حيث يبدأ المساء بعتمته.

عند المساء، وبخاصة عند اقتراب المطر
يغلق الناس النوافذ.
تسقط على المدينة نديف السخام
وفي الشوارع يدخل دخان
شبيه بضباب الخريف
إلا أنه مسلح حتى الأسنان.

ومع ذلك، ثمة أزهار بريّة

لا تزال، بالنسبة إليّ، تتفتح هناك
حتى على الأسلاك الشائكة
يكفي أن نتوقف قليلا
ونطلق زفرة ناعمة.

2 – الشمعدان

يعرف الله أين أصبح ذلك الشمعدان
الذي جلبته أمي من كرالوبي.
صنع خلال الحرب الكبرى من قشر الرمان
ولسنوات طويلة، بقيّ عندنا، على ظهر خزانة.

حين ينفذ النفط
نشعل فيه شمعة
تدخن.
على ضوئه الخفيف
كتبت أولى قصائدي
وحين يذهب أهلي للنوم
كنت أقرأ – مادام مشتعلا –
روايات غرامية.

نوره المترنح
يصبح أمرا لجوجا زائلا

كان – في أحلامي على الأقل –
يجرني من على مقاعد الدراسة
صوب أزقة براغ العفنة.
حيث نعشق للحظات قصيرة.
لكنني كنت أشعر بالخوف
لأنها أكثر غموضا
من مستنقعات الجزيرة الغاشة
عند مصباتها
التي غرق فيها فارس شجاع
مع فرسه.

في كل مرة، كانت أمي تُلمّع الشمعدان
بخرقة مخملية
كنت اشعر بأنها تطلق زفرة خفيفة.
لم اسألها السبب
فيما بعد، تكهنت بالأمر:
أن لا تنشب الحرب مجددا.

ومع ذلك، لقد جاءت!

3 – شال الكشمير.

منذ دهر لم تعد زهور "الموغيه" تنبت
في غابة كرالوبي
كما في مراهقتي
حين وقعت في غرام
أصغر أخوات أمي.
كانت أكبر سنا مني بقليل
وجميلة.
غالبا ما يرددون ذلك.
أعرف أشياء قليلة عن النساء
وبرغم ذلك، وفي فكري،
كنت أدور بلا توقف حول الجنس اللطيف.
وحين تمر بالقرب مني
لم تكن توجه إليّ سوى ابتسامة صامتة
من دون أن تنظر مطلقا في عينيّ
اللتين تتوهجان
بينما تنفجر دمائي بصمت
في شراييني.

كم من مرة فتحت ذراعيّ
كي لا أحتضن سوى هذا الهواء
الذي اجتازته لتوها
حاملة ابتسامتها الناعمة
إلى الغرفة المجاورة.

غالبا ما أشعر برغبة جريئة
في رؤيتها عارية، في أحلامي.
أو على الأقل، عارية حتى خصرها.
أو أن فمي، الذي كان لا يزال حائرا
يستطيع أن ينحني بالقرب
من ظلالها الزهرية.

أحيانا، حين تبتعد للحظة
رامية فوق كرسي
شالها الكشمير
كنت أشد القماشة على وجهي
لأتنشق عطرها.

انتهت العطلة، وكان عليّ
أن أعود إلى براغ.
لحظة الوداع، مدّت لي يدها
أخذتها بعناية كبيرة
مثل زهرة الأوركيديا الرهيفة.

مضى زمن لم تنبت فيه زهرة "الموغية"
في غابة كرالوبي.
مضى زمن طويل...

4 – طريق كرالوبي

زاكولنسكي، الساقية التي تجتاز المدينة
مزعجة ورائحتها كريهة.
حتى السماء لم تكن تستطيع احتمالها.
تحوي جميع أنواع المياه الآسنة
والذين يسكنون في النواحي
يرمون فيها الأوعية المكسورة
والقطط النافقة.

الشحاذ بابلام، القبيح والبائس جدا
والذي يشكل فزاعة للصغار،
كان يلم من مخلفات المدينة
خرقات قديمة
ملطخة بالعرق، بالدموع، بالدماء.
كان الناس سعداء بالتخلص منها
ليطمروا غالبا ذكرياتهم.

كان الشحاذ يغسل قدميه في الساقية.
وحين شيّدوا جسر كرالوبي
أخفوا الساقية.

وفي اليوم
الذي صمتت فيه المياه بين الأحجار

توقفت العصافير عن الغناء
على الأشجار التي تحيط مجرى المياه.

كان طريق كرالوبي
ينطلق من أمام الكنيسة، يجتاز الساحة كلها
يمر أمام مكتبة "نيفلت"
– لا زلت أرى واجهتها
وعلى الزجاج انعكاس صورة وجهي –
ليصل في النهاية إلى مقربة من الساقية.

الطريق عينه، كان يسلكه، فوق عرش،
السيد الكاهن، مرتديا حلته البيضاء،
يوم عيد الرب؛
حذاؤه، الملمع للمناسبة
يسحق بلا رحمة الزهور
التي ترميها الفتيات الشابات على البلاط.

رأسي مليء بأحلام مذهبة
وبأبيات
أهمس بها سائرا.
أضع، خَجِلا،
خطوات رغبتي على الموكب.

في الشتاء، صديقي الممثل "سبال"
يحصي البجعات في البحيرة
من أعلى جسر "بالاكي"
طيلة حياتي، لم أحص شيئا
لا بجعات ولا أيام زلا ليال
ولا مال.

ملأى حياتنا اليوم بالأرقام
لكن، ما كان بإمكاني إحصاءه في تلك الحقبة؟
نقاط المطر؟
أو ربما حبال روحي
التي يتحدث عنها الشعراء، غالب الأحيان، في قصائدهم؟

أصابع الرغبة الأولى
مستها لتوها.

أو بالأحرى القبل؟
كانت لا تزال نادرة.
ربما ابتسامات الصبايا النافرة؟
أجل، هذا هو!
ابتسامة بعد ابتسامة
قبل أن تحملها الريح.

ما ان تحل الظهيرة
حتى أسارع بالعودة
وطيلة بعد الظهر، كنت أجد صعوبة
في كتابة القصائد.

على بُعد خطوات من الساقية
ولد الشاعر "هاليك".
كان، إن وقع في الغرام
يخرج قصائد الحب
من كُم معطفه المزخرف.

على عتبة بيت المحبوبة
التي دخلت حياتي لحظتها
وضعت الرسالة التالية:
– أعرف جيدا
أن قصائدي لا تساوي الكثير
حين تقرأنيها
سأصلي لعينيك
كي لا تغلقي قلبك في وجهي.

مع قصائدي المتواضعة
وبحبل فضيّ علّقت

هذه الزهرة.
إن مست شفتاك
وريقاتها الرطبة
فانك تقبلين جمالك.

قبل ليلة، حين قطفت الوردة
من وريقاتها الزهرية
التي تفتحت بحسية كبيرة
ارتعشت منها
وكان عليّ أن أنفخ
نديفة سخام دنيئة.

5 – تحذير ليلي.

أحالت الحرب الليالي أكثر سوادا
والصباحات أكثر كآبة.
في كل الزوايا، يتدلى سيف
يهدد مدفع رشاش
يتعفن الرعب.

المسدسات مثل جراذين متربصة
جراذين تتضور جوعا.

كنت في كرالوبي أنتظر القطار
كنا في سنة الحرب الخامسة
وكنت أطوف عبر المدينة
في صمت السنونوات.
لما يحل المساء تنطلق قطارات الأمنبوس
حين لا تعد قاذفات الصواريخ تهدد
بالانقضاض قصفا من أعلى الغيوم البيضاء.
كانت المدينة تستعد للنوم.

لم تكن الساعة العاشرة قد حلت بعد
حين تطلق الصفارات انذاراتها
أستعجل في إيواء خوفي
في نفق تحت جسر واد.
قبل سنوات، سكنا قربه
في شارع سوكول
عشت في هذه الأمكنة
مغامرة غريبة.

المتشرد بالام، حاملا كيس قاذوراته النتنة
خرج من النفق وهو يترنح.
كان سكرانا
فرمى أحدهم عليه حجرا.

توقف الشحاذ وهدد بقبضته
لا المعتدي فقط،
وإنما المدينة كلها حوله.
وصل إلى وسط الساحة
وتفوه بلعناته الداعرة:

لتتقوض في هذه الكهوف المعتمة
لا فيها فقط
بل في يأس ضريحي
حتى آخر دموعه!
لتضرب النار النار النار النار النار
المدينة من أعلى السماء
مثل أجنحة نسر مشتعلة يتضور جوعا
فوق جثة طازجة
لينهي دماره!
آمين

مضى زمن منذ أن غادر الشحاذ
هذه العتبات البخيلة
إلى ممالك أخرى،
لكن لعنته، كما نذير أسود،
بقيت محفورة وسط الغيوم
الملوثة بالسخام الدهني

بعد دقائق
صرخت الصافرة بانتهاء التحذير
فغادرنا الملجأ
كان الليل مخضبا بالعطور
والسماء مليئة بالنجوم.

في ما مضى، كانت ليالي آيار تخص العاشقين
آه يا الهي.

صفّر القطار خلف تيلاهوزيفيتش
حان وقت الرحيل.
راكضا، هممت بالوصول إلى الرصيف.
بالكاد جلست في المقطورة
حتى أحسست بندم مرير
بالهرب من المدينة
التي أحبها
بأن أتخلى عنها لحظة
كانت في خطر.
بيد أن مبنى المحطة كان يختفي
في عتمة الربيع
والقطار يتجه صوب دولاني
حيث كل شيء مزهر...

6 – الصدمة

الورقة السوداء، الموضوعة للتعتيم، انثقبت
تاركة خيوط الأنوار تتسلل
تمر الأيام ببطء
مثل نقاط عسل من ملعقة خشبية،
والأمل، المخلص لكن عديم الصبر،
كان يختنق.
لتتوقف هذه الحرب اللعينة أخيرا!
لتتوقف!

مضى الشتاء السادس بدوره في النهاية.
تخلص العشب سريعا
من غسيله الثلجي
الذي لم يكن نظيفا في كل الأحوال
فظهر عاريا.

في يوم اعتدال الخريف
الذي به يبدأ الربيع الفلكي
كنت أحب الذهاب إلى كرالوبي
فوق قبر مهمل.

كل الذين عرفتهم فيما مضى

كانوا رحلوا منذ زمن،
وحدها فقط، هذه الفتاة التي في القبر
كانت لا تزال حية.

كانت أول امرأة نفحت
على وجنتي شعلة الشغف المتأجج،
وحين تدافع بعناد
عن جمالها السحري
الذي لم يكن حبي يجرؤ
بعد، على دخوله.

ماتت في أول أيام الربيع،
في التاسعة عشرة.
كانت متواضعة، ناعمة وحنونة،
يخيفها الحب.
لا الموت.
ماتت بشجاعة، على عينيها
الحارتين، ابتسامة.

عندما تلعلع صفارات الإنذار
أقف أمام قبرها.
أعرف اليوم
لماذا وصلت متأخرا اليوم.

كان عليّ أن أكون هنا!

حفار القبور، السيد فرديناند زيبيرو
ينادي المتخلفين.
طائرات الحلفاء تقترب،
الظهر تقريبا.
الثواني تلمع على المعصم،
بدأت ساعة القدر.

بالقرب من المقابر
أصيب إحدى خزانات مصفاة التكرير
المليئة بالنفط الخام
النفط المشتعل يطير عاليا
والدخان يغطي المدينة.

لمعان حديد متوهج
يتوه بين الصلبان،
بينما مطر قذائف جديد ينهمر
عشوائيا
في الغيمة السوداء أعلى المدينة.

رغبت في الهرب من المقبرة،
لكن حفار القبور أجبرني

على البقاء
وعلى الاختفاء خلف قبر خفيض.
تمددت قرب تلك التي أحببتها،
واضعا رأسي قرب رأسها.
مدت لي الراحلة يدها.

أخيرا تمددنا جنبا إلى جنب،
مثل عاشقين
بعد عناق محموم،
متعبين من مئات القبل،
أمسكنا بعضنا بيدنا.
ومن المدينة، سمعنا لحظتها
سلسلة انفجارات متعاقبة تقترب منا
تشبه قصف الرعد على طبل
مغطى بحرير أسود.
وفي شوارع كرابولي،
تفتح السماء، بمفاتيحها النارية
حفرة وراء حفرة.

كان القصف بدأ منذ ساعة تقريبا
ويبدو كأنه لا يرغب في أن يتوقف.

فجأة، تباعدت أصوات الانفجارات

والطائرات المبعثرة عادت إلى تشكيلاتها
وطارت باتجاه "كلادنو".
وعندما رغبوا بإعلان
نهاية الغارة على كرابولي
لم يعد هناك من جرس إنذار.

للحظة أخرى بعد، حدقت
في السماء القاتلة،
من ثم، نهضت ببطء.
نصف ميت،
ترنحت باتجاه المدينة النصف ميتة،
متسائلا برعب أي مشهد ستعرضه علينا.
وحدها الكنيسة ببرجها الصامت
بقي واقفا، ينتصب سليما وسط الخراب.
دفنوا الأموات لتوهم تحت التراب،
الكاثوليك، البروتستانت، غير المتدينين،
والمعبد يتقبلهم كلهم
تحت سقفه المتسامح.

لا أعرف إن استطعت الاعتراف، في النهاية
بما طرأ على بالي من أفكار
حين رأيت هؤلاء الأموات:
فكرة تصدم.

إنهم يرتاحون تحت الأرض، الواحد قرب الآخر،
مثل أرانب نافقة في لوحة صيد
بعد مجزرة ناجحة.

7 – ليس بعد الآن
مئة منزل تعرض للدمار
وألف أخرى لفها الخراب.
لا، لم أحصها بنفسي.
فتحت طريقا لنفسي بين أنقاض لا تزال ندية
مستديرا على حُفر الشارع.
تثير الرعب
مثل أبواب متثائبة في أعماق الجحيم.

انهمكوا في تنظيف الشارع،
ولم يستطيعوا خلع باب المنزل الصغير
في شارع "سفيرما"
العائد للسيد "هرينشير"
إلاّ بعد ثلاثة أيام.
ماتت العائلة بأسرها.

وحده الديك، هذا المشاغب العجوز

الذي لم يكن يقدره كثيرا
بولس الرسول،
كان سليما ومعافى.
سائرا فوق جثث الأموات، تسلل خارجا
وتوقف فوق كومة من الأنقاض.

نظر حول مكان البؤس هذا،
ثم فرد جناحيه
كي ينفض ريشه الذهبي من
الغبار الثقيل.

وقرأت بصوت خفيض
ما كتبه
الرعب والألم
على وجه أناس كرالوبي.

وفي صمت الموت هذا،
صرخت لنفسي بصوت مرغمّ
كي تسمعه الحرب:
أيتها الحرب، ليس بعد الآن، أبدا!

نظر الديك إليّ بانتباه
بعينه السوداء اللئيمة،

انفجر بضحكة مرعبة.
كان يهزأ مني
ومن ندائي الباطل.
أضف إلى ذلك، بكونه من فصيلة الطيور
فهو متضامن مع الطائرات.
أيّ نذالة!

خاتم الملك بريمشيل أوتاكار الأول

صوت مألوف هاتفني قائلا:
– أسرع لرؤية
هذا الخاتم.
لقرون عدة، ارتاح
في غبار تابوت،
لكنه لم يمت.
لا يزال يلمع.

خاتم ملك ثقيل
مزين بزبرجدة.
حجر أصفر وبرتقالي
يشبه السماء وقت العاصفة.

في الوقت الذي، وعلى ضفة "الفلاتفا" اليمنى،
بدأت فيه قبة غوطية بوصل جدران صومعته،
قبلت الابنة العارفة الجميل يد أبيها

لتلمس، بشفتيها، بدون قصد
الخاتم الملكي.

اليوم أيضا،
يتراءى لي أحيانا،
بأنني لا أزال أسمع على بلاط الدير الحجري
طقطقات عكازه الخفيفة
وصوت حذائه الخامد،
في حين أن ظله الحريري،
يسرع لسماع قداس الأحد،
مبعدا بعصاه الأسقفية
ضباب الجنة المذهب،
ليلتقي الملائكة أخيرا.

أصاب الدمار الصومعة منذ ومن بعيد،
حين، في منزل صغير
وبالقرب من أبوابه
كانت مارينكا المريضة تنشد للشاعر ماتشا
أغانيه الخاصة
تاركة، من على جنبي جبهتها البيضاء،
خصلات شعرها الأسود،
الغنية، تنساب.

لكن المنزل عينه كان مدمرا،
حين وتحت جدار الصومعة،
عندما يهبط الليل،
كنت أخفي أمام أعين الرجال
قبلاتي الأولى،
وفوق عشبة بالية ومغبرة، أضع
نظرتي الفرحة في عيني شابة مدهوشتين
لإصابتهما بالحب.

كلا، الحب أكثر من إصابة؛
إنه لدغة أفعى.
وكانت المياه تنشد فوق سدّ جزيرة ستافنيش
بينما بدأت للتو بالبحث عن قوافيّ الأولى.
لا زالت شابة، وربما هي على قيد الحياة
قد تشهد على ذلك.
لكن، وداعا إذاً، أيها الحب الخادع!
وداعا!

امحوا هذه الأبيات بسرعة!

لو كان بإمكاني، لحظتها لمس
خاتم الملك،
بدون تردد، لوضعته في إصبعي

لأبرهن للحال
عن قوته السحرية.

لأدرته ثلاث مرات إلى اليمين
قبل أن ألفظ أمنياتي.
بداية، سأفكر بوطني
الجميل
مثل شجرة مثمرة، مزهرة في أيار.

من يدري، ربما، لا أجد
ما هو أفضل
من أن أتمنى لمعادن مناجم الذهب،
قرب جيلوفي
من أن تسقط على ركيزة غنية.
لكن، ماذا سأصنع بالذهب؟

ليبقى كلام شعراء هذه البلاد
جميلا
ولتحط الفراشات، التي تصبح أقل كل يوم،
فوق أزاهير أغانيهم
الندية!

وليعرف، من سيقرأ أشعارهم

أن يحبس دموعه
أمام كل هذا الجمال،
مثلما فعل "أف. إكس شالدا"
في محاضراته عن دانتي
عندما كان يلقي قصائده.

للأسف، لم أجد أحدا
يستطيع، في تلك اللحظة، أن يهبني الخاتم
التي غطيته القديسة الشابة بالقبل.
هذا الخاتم الذهبي الثقيل، الخاتم الملكي
المزين بالزبرجد
بحجر أصفر برتقالي
ما هي السماء وقت العاصفة.
لم يكن الحارس الذي يراقب الواجهات
يملك مفتاحا.

وداعا آنسة توايان

ظل عصفور طائر
يلامس مكتبي، قرب النافذة
لحظة ومرت
أقصر من قبلة هاربة
مرسلة في الريح
أكثر سرابية، أيضا، من قبلة
الآنسة توايان الحزينة.

ونحن صبية، كنا نتحدث
بالسر عن النساء
تحت غلاف كتابي اللاتيني
خبأت صورة عن لوحة
إنغريس "الحمام التركي"
قرأت في مكان ما
أن أجمل نساء العالم
يعشن في تركيا
بعد فترة، أكد لي صديق

أن أشهى النساء
يعشن في باريس
هنا، حيث ليل نهار تحترق
شعلة حديد برج إيفل
يبلغ نورها ملاهي الحب
ويصل حتى إلى وروده المعتمة.

حدث ذلك في باريس، في آيار،
زهور "الموغيه" في كل الأمكنة
كنت على موعد، مع طالبة
فرنسية، عند أسفل أسد بلفور

كانت شابة
وتؤمن أن الحب قطعة سكر
مثبتة بشدة، بين قضبان
القفص الزوجي
على الجادات، لاحظت
زنجيات باريس
كن يشبهن ليالي الصيف
حاملات النجوم في شعورهن
سيقانهن جامدة وطويلة
كسيقان دوار الشمس.

كنت أحب قضاء وقتي
تحت ستائر الحانات المخططة
حيث تفوح بقوة رائحة القهوة
كنت متيقنا، أن الآنسة توايان
ستجيء إلى هنا، فيما بعد.

منذ حياتها في براغ
وهي جزينة
أحببناها كلنا
رسمت لي أحيانا
بالحبر الصيني
زنجيات عاريات فاحشات
على حرير زهري اللون.

صديقتي الرغبة

إلى أوتا يانيشيك

كم من مرة رغبت في شبابي
في أن أكون رساما
لأصور نساء جميلات مثل السماء!
بدلا من ذلك، وحتى آخر شيخوختي
تعاركت مع الكلمات.

قبل أن أجد أول أبياتي
قبل أن أشعل غليوني
كان الفنان أوتا يانيشيك قد رسم
العري الأنيق لفتاة شابة
بين رموشها فتات ليل
وزرقة في عينيها

قبل أن ينزع الفنان الورقة من مفكرته

سقطت عاشقا متيما بهذه الجميلة
وكم من نساء شابات
وكنت حين أنظر إلى رسومه
أراه يبتسم
لأن عيني لا تستطيعان
أن تستوعبا جمالهن كله.

مصنوعات من ألوان، من عطر، من أنوار
ومن قطرات الندى
الذي يرتجف على حوافي التويجات
حين يغني الديك الصباح
وحين تتفتح الوردة

في اليوم التالي، تسكعت في براغ
كل مدن أوروبا القديمة
تصبح أجمل في الربيع ثلاث مرات
عند نهاية بعد الظهر
حين امتلأت الشوارع بالناس
كنت أتوقف للحظات أمام وجه
خيل إليّ أنني رأيته سابقا
هذا الوجه أيضا!
ولا أصدق
بأن الطبيعة قد نظرت أحيانا

من فوق كتف الرسام.

اقترب فجأة
رأس الشارع بسرعة
الأفق الذي يهرب منا دائما
توقف لأجلي.

وأقول وداعا
لأناشيد العصافير أمام النافذة
لعطر الورود
وداعا للعيون التي أحببتها حتى اليوم
والتي رافقتني طوال أيامي
مثل النجوم
وكلما عدت إلى ماضيّ
بدا لي
انها كانت حقا
سبب حياتي الوحيد.

صف أعمدة في كارلوفي فاري

مذ أن سمعت
بكاءك على الهاتف،
أصبح من الصعب عليّ
أن أؤمن بالحب الذي وُصِف
بأنه خالد.

لا حب مشابها في حياتنا.
هل وُجِد في يوم ما؟
ربما.
ومع ذلك، لا تستطيع دموعك أبدا
أن تعيد لصق ختم الوعود الباطلة الذي تحطم.

يصق النبع في الهواء
دفقات مياه
تعود لتسقط، حارة، في الحوض
مثل عصفور جريح

ذي جناحين محطمين.
إنها بيضاء اللون.

بالقرب من النبع،
يوما بعد يوم، ينسج صف الأعمدة
مع مئات الخطوات
مناخ الساعات الشهواني.

طالما جدفت ضد الشعراء
الذين يغنون الحب،
لغاية أن شاهدت بين الأعمدة
عينين مليئتين بالشرر.

ذهبت للقاءهما،
لكنهما تجنباني،
وحين عدت أدراجي
التقيتهما مجددا.
أي تدليك حنون مارسته قبلي
على هاتين الشفتين اللذيذتين!

ومع ذلك، ليعش هذا الحب
الذي يدوم أقل من الثلج
الذي يرفرف في نيسان

حين تنطفئ شعلة الرغبة
وحين يسقط الحب من جديد
إلى درجة الجليد.

وحدها شعلة الأعماق
تشتعل للأبد
لتدفئ إلى الأبد
مياه الينابيع المريرة.

إمسحي عينيك إذا
ولا تبكي أبدا.

نبع الصليب

أين رحلت الأزمنة الضاحكة
حيث الورود كانت لا تزال تزهر،
حيث كنا لا نزال نرقص الفالس؟
فجأة، اتخذ العالم اتجاها آخر
لحقه كل ما كان يتعلق به.
وحده صف الأعمدة العتيق
الذي أهمّ بالذهاب إليه
لا يزال يتراءى بين الأشجار.

إنه الصيف، حل المساء لتوه،
دخل القمر إلى أول أحيائه
ومثل إبرة حائك سجاد،
يعلق
هنا وهناك
ظلالا عطرة بين الأشجار.

مدينة المياه تخص العذراء مريم.

لا تشعروا بالغيرة.
بجميع الأحوال، هذه الزاوية، زاوية من الجنة
تبتسم العذراء للمستحرين
وحبيبات ورديتها[1]
ليست سوى قطرات الفضة
التي تنبجس من نبع الصليب.
ربما كانت تحب الشعراء.
على الأقل، لم يلزم غوته،
سوى ثلاث جرعات مياه كي يشفى.
لكن لسوء حظه
سرعان ما وقع في الغرام.

لا أريد أن أدعي بأن غراميات الشعراء
وردية،
بدون أن أتحدث عن الزواج.
لماذا غوته
لم يبح لنا
بكلمة الحب الجبارة هذه
الذ أسر بها في أذن الآنسة
أولريك، الحريرية،

حين اصطحبها بالعربة إلى بحيرة البجع؟

---

(1) هي المسبحة الوردية.

بعد فترة وجيزة،
مات سعادة المستشار والوزير
في فايمار.
أما أولريك، فبقيت مخلصة لحبه
لسبع سنوات أخر.

بدوره، الحب الكبير، يخمد ذات يوم.
رغم أن ما من عاصفة في العالم يمكن لها
أن تقتلع، بدفعة واحدة،
آثاره المضيئة.
وما تبقى لي هذا الصمت الحزين الذي يرفرف فوقي
ككالصمت الذي يعقب موت النحل.

أحيانا، يحدث لي أن أستعيد آثار حبيباتي
لقد أصبحت عجوزا.

لو أغلقت عينيّ للحظة،
من يقل إنني لن أرى غوته مجددا
صاعدا السلالم
إلى النبع العجائبي
الذي يغني، كما في الماضي
في حوضه.

جئت لأتعلم:
من يجب أن أنادي في البداية،
الحياة أم الموت،
وأين يمكنني – وإن كان ذلك للحظة – أن أضع
حزكة كآبتي
حيث يمتزج فيها بعض غبار آمال باطلة.

الغراميات التي عرفتها في حياتي
هدأت الآن.
وحده الحب الأخير
لا يزال يُسقط على رأسي غبار طلعٍّ ذهبي
كغبار الزنابق.

كونشرتو باخ

لم أنم مرة إلى الضحى،
بسبب مرور القاطرات التي كانت توقظني،
وغالبا بسبب القوافي أيضا.
كانت تشدني من شعري خارج السرير،
تأخني حتى الكرسي
وبالكاد افتح عينيّ
حتى تدفعني إلى الكتابة.

أتمسك بهذا اللعاب الناعم
على شفتي اللحظة الشهية،
لم أفكر بخلاص روحي البائسة،
لكن، وبدلا من الغبطة الأبدية،
كنت أرغب بلحظة ساطعة
للرغبة السرابية.

سدى كانت الأجراس تحملني،
كنت أبقى متشبثا بالأرض بعناد.

كانت مليئة بالعطور
وبالأسرار المثيرة.
وحين، في الليل، أنظر فوق رأسي،
لم أكن أبحث عن السماء.
بل كنت أخشى الثقوب السوداء،
من جهة إلى أخرى في الفضاء،
المثيرة للرعب أكثر
من الجحيم.

فجأة أسمع صوت قيثارة.
كانت أنغام كونشرتو
لجان سيبستيان باخ
كتبها للمزمار والقيثارة والأوتار.
من أين تأتي هذه الموسيقى؟ أجهل ذلك.
لكنها ليست من الأرض.

حتى وإن لم أشرب خمرا،
كنت أترنح قليلا
وتوجب عليّ أن أمسك
بظلي.

Divertimento

إلى يان هانوش

Allegro non tanto – 1

ها قد حل المساء، لكن لا تشعلي النور،
أحب النظر إلى عينيك
في الظلام.
أخبريني إذا! كيف حال فيينا؟

أما زالوا يبيعون في السوق
باقات الخزامى،
عطر الحب هذا الذي نسيته
نهايات هذه الألفية؟
كانت أمي، لتطرد العث،
تعلقها في الخزانة.

أما زالوا يرقصون في فيينا بعد
أما زالوا يهزون الثريات الضخمة؟

وكيف هنّ النساء؟
وشابات فيينا الرائعات
أما زلن يقربن شفاههن من الشفاه الأخرى
بذات الحنان، بذات الشغف
كي يغرزن
في القلب مباشرة
شوكة الحب؟

لا أخفيك، غالبا ما يحدث
هذا عندنا
ألا تصدقيني
لقد عشته مرة
وخاصة في القطار الذي اقلني، ذات ليلة
من براغ إلى برلين.

قولي، ورجال فيينا؟ أما زالوا يجهلون
أين دفنوا، خائفين، ذلك اليوم،
أماديوس
ملاك الموسيقى وسط الملائكة
وأول المرتلين
فوق الدرجات التي تقود
إلى عرش السرمدي؟

أما زال ذلك يزعجهم ولو قليلا
أمام باقي الناس؟
– ربما لا أعرف.

أما زالت الحياة في فيينا
أفضل بقليل، من باقي مدن
الأمبراطورية القديمة
أفضل على الأقل بابتسامة، بابتسامتين، بثلاث؟

وفيينا أما زالت مخملية
كما في الماضي؟
– لم تعد كذلك.

Adagio – 2

قولي، أتوئمنين بالأحلام؟
– كلا، لم أعد اوئمن بها من زمن بعيد.
أنا أيضا غادرت أحلام يقظتي كلها
وأسير على الأرض
ومع ذلك!

إذا، مفتاح أحلامك، ذاكرتك المثيرة؟
– مضى زمن طويل منذ أن فتحت هذا الكتاب

للمرة الأخيرة.
طوال حياتي لم أفز بشيء
إلا بالألم.
من دون أن نحصي الدموع
ومع ذلك!

ماذا يقول الشعراء؟
– يكذبون فقط!
أعرف أحدهم
لا يحلم مطلقا
وينام نوما عميقا،
لكن، في الصباح، حين يستيقظ
وبينما ينتعل خفيه
كان يروي دائما حلما ساحرا.

أما أنا، أنام بشكل سيء
وحين أغفو
أجد نفسي، فجأة في إطار غريب.
يخيفني ذلك أحيانا
وفي أفضل الحالات، أجده كريها
ولا مرة، في الحلم، تنزهت
وسط الزهور.
ومع ذلك!

أدين لليل
ببعض اللحظات النادرة،
إذ، بفضل صمته وعتمته
ألتقي الأموات
كل الذين أحببتهم.

لحسن الحظ، تحدث
عندنا، أيضا، بعض العجائب أحيانا!

وحده الله يعرف، من أين يعود الأموات إلينا
حيث لا يفرقنا الموت مرة أخى
لكنهم، سرعان ما يرحلون مجددا
وأيضا، وحده الله، يعرف أين.
سدى أناديهك.

ومن جديد، الموت
بيننا.

Tempo di minuetto – 3

ومع ذلك، هذه الليلة، حلمت
حلما جميلا.

في عز نومي، قُرِع على بابي
بخفوت، بهدوء
لدرجة أننا ظننا
أن الباب ليس من خشب
بل من قطن صامت.
ومع ذلك، استيقظت
دخل الضيف إلى غرفتي.

أتعرفين فيغارو؟ أعراسه؟
– بالتأكيد.
شيروبان حضر أيضا!
تعرف بالتأكيد أن هّا الدور
غنته الفتيات فقط،
وأن المُلبسات وجدن
صعوبة دائمة، في شد
نهود الشابات
في سترة رجل
كي لا يتكهن أحد
بهذا الجمال.
لم يلحظ كونت ألمافيفا أي شيء
إلا أنني رأيت كل شيء بمتعة كبيرة
وإن خشيت أحيانا
أن تنحل الرباطات

بينما تغني المنشدة
وتسترد أنفاسها.

وجلس شيروبان، على كرسيي، في منزلي
على وسادة اسفنجية
أخف
من فراشة صغيرة
على وردة من حرير.
غيمة من بارود
داعبت أنفي.

أقسم بذلك، همس لي،
وهو منحني على وجهي
ليكلمني بصوت خفيض،
كي لا تقول أي كلمة
مما سأسر لك به الآن.

أقسمتُ بسرعة
موقنا بأنني سأكون هذه المرة
ناكثا بوعدي.

العالم بأسره يعتقد
بأنهم وضعوا موزار
في مقبرة متسولي
فيينا الجماعية.

أحبته فيينا.
لكنها الحياة، من أدخل موسيقاه
في قلب هذه المدينة،
من كان سعيدا هنا
وأسعد أيضا
يوم ان اجتاز عتبة عائلية،
دفن هنا!

لحسن الحظ، عندنا
لا تزال تحدث بعض العجائب أحيانا.

لم يدفن في فيينا، هذا الطائش.
قبر موزار موجود هنا، في براغ،
في منحدر بيتران.

شبه غارق في الرمال.
مضى على ذلك عدة سنوات!
يجهله الجميع.

وبدلا من صليب، تنتصب
زهور برية فوق رأسه
وباقات بنفسج فوق قبره.
والعشب، حوله، مخضبا بالندى
الذهبي.

Allegro con spirito – 4

كما أن آخر الكلمات هربت مني للتو،
فتحت حينئذ عينيّ.
عدت وأغمضتهما بسرعة، ضغطت عليهما بشدة
كي يستطيع الحلم أن يستمر.
لكن سدى.
لم يأتي شروبيم.

غداة اليوم التالي، نهضت باكرا
ركضت حتى بيترين.
كانت العصافير قد استيقظت من زمن،
لتنهي الكونشيرتو
عند مجيء البشر.
على المقاعد، في تلك الأثناء، كان ندى الصباح
لا يزال بِكرا.

قبر موتسارت، وجدته بدون عناء،
بسبب البنفسج.
هذه النقاط الذهبية، كانت
زهور الربيع الحزينة.

بأصابعي، مسست العشب،
راسما صلبانا ثلاثة،
كما نفع في مدينتا
لتحية الميت
لنقول له شيئا.

وفهمت أخيرا لـِمَ يحب العشاق
المجيء والجلوس
على مقعد بالقرب من هنا،
ولـِمَ، تزقزق العصافير، حولهم،
بسعادة.

عند أسفل الهضبة، تستيقظ المدينة.
لقد أحبها موتسارت.
مثل لوري الجميلة إلى جانب ماتشا،
تمتد براغ بدورها
عند قدمي موتسارتها.

مطر من بنفسج

لزمني جرعة ثالثة،
الجرعة الأعمق،
كي أغسل لساني
من مرارة الدواء العديم الشفقة؛
فيما بعد، انتشرت جرعة النبيذ
المطمئنة، مثل نور
في دمائي.

جبهتي في راحتيّ، متكئا
إلى مكتبي،
مذكّرا ذاكرتي بالأذرع الفاتنة
وبشفاه اللواتي
التقيتهن
خلال حياتي.
في لحظات مماثلة، أقرر
بأن لا أدع أحدا يتنزعني أو يجرّني

خارج هذا العالم الصامت
والذي لا ينتمي إلا إليّ.
لا احد، ما عدا الموت.

حين يسقط الثلج خلال الليل على بيترين،
يتأمل، صباحا، الشاعر ماتشا
باقة من الورود البيضاء
المحاطة بحجاب شهواني.
له، هذا الليلك المعدني الذي يمسكه في يده،
لكن هذه الورود فهي لمعشوقتي.
لوري أيتها المسكينة.

أمامنا أيضا، كان الزمن الكثيف يشتعل
يفوح منه دخان أسود.
تنتشر العتمة وتدمدم الحياة
مثل قطار داخل النفق.
تصدح العنادل، ترعد الحروب،
وفي الشتاء، تثلج.

ومع ذلك، فالرغبة بدون نهاية.
يحدث لي أحيانا بعد أن أنظر
إلى ورود الثلج البيضاء

العائدة للعيون التي عُشقت بكثرة
للشفاه الناعمة جدا.
وفجأة، تذبل الورود بسرعة، بدورها
تترك دموعها تنساب إلى الأرض.
متمسكا بعارضة مكتبي،
أقاوم الموت
مثل المسافرين فوق جسر "التيتانيك"
المتعلقين بحراس
الباخرة التي كانت تختفي في الأمواج.

وكما في حلم، من وقت إلى آخر، لا زلت أسمع بعد
مطرا من بنفسج.

أربعاء الرماد

من رأى مقبرتنا على سفح الهضبة
يعود مطمئنا.
تتاخم حديقة الدير
التي أحبها الشاعر زيير أكثر من أيّ شيء آخر
حيث توقف الزمن عندها.

منذ زمن طويل، فاجأت في المقبرة
سرب نحل.
كان معلقا على يد الملاك اليمنى المرتفعة
مشيرا بإصبعه إلى السماء.
كان السرب يدمدم بهدوء
مثل الرسام فرانتيتشيك تيشي
الذي كان يعزف، أحيانا،
على مشط أمام كأس نبيذ،
من دون أن يزعجه شيء.

لكن ما هذه الرقصة الجنائزية؟
ما هذا الرعب؟
لديّ هناك بعض الأصدقاء
بينهم فرانتيتشيك تيشي.

منذ سنوات، يشير رقاص ساعة قديم
إليّ بالوقت
وأنا أنظر إلى الوراء، إلى الزمن الذي انساب
من حياتي
التي تمضي بسرعة بصورة مدّوخة.
عند كل دقة، تفلت نحيبا.
مع ذلك، هذا اليوم الذي يسبق الربيع
وبصليبه الرمادي الصغير،
يذكرنا كل سنة بنهاية كل الأشياء
الحزينة
بالوداع الكئيب لكل شيء.

صدفة تقريبا، فتحت في منزلي
خزانة ثيابي.
لدي فيها العديد من الألبسة.
وبما أنني لم أكن متأنقا يوما،
ثمة طقم لا يزال جديدا علّق هناك منذ زمن طويل.

مصنوع من جوخ إنكليزي جميل،
بلون البهار والملح،
لكنني لم أكن لبسته بعد.

ربما عليّ أن أمد يدي
إلى هذه الأكمام الفارغة،
المليئة بعرفان الجميل
لأهزها بحنان، وأقول لها وداعا.

كم لديّ من ربطات العنق المتنوعة الأنواع!
ترسلها لي السيدة مارتا هودغكيس
منذ عدة سنين، من لندن.
مصنوعة كلها من البوليستر الناعم
ومن ألوان الباستيل.

كدت أنسى شيئا.
منذ بعض الوقت، أحمل في رأسي
بعض القصائد الحنونة
التي تتحدث عن فتيات شابات، عن سنونوات، عن أزهار
الحب العذب.

في حياتنا، ثمة القليل من الأشياء
التي تستحق أن نغنيها.

هذه الأغنيات، لن أكتبها مطلقا؛
حانت اللحظة،
سأحملها معي.

مع إكليل من شِعر

طيلة حياتي، أحببت
الحب الأرضي.
ذاك ذو الأيدي اللجوجة
وذو عطر الجلد الحارق،
حبٌّ ذو زهور حمراء
معقودة بحرية في الشَعر.

أيتها السماء، سامحيني،
لم أستطع الارتفاع أكثر من ذلك.

شاعر الخاتم الختمي
سيبجل، بدوره، النساء
حتى أنفاسه الأخيرة.
لكن، لو سألته
من يحب أكثر،

لأجاب بالتأكيد، بدون تردد:
لغتي الأم.

كان يتحدث معها بعاطفة
مثلما نتحدث مع النساء،
يعرف أدق تفاصيلها.
قسوتها، هدوؤها العذب
حين تبدأ بالغناء،
حنانها،
حين تمتصها أفواه الذين
نتذكرهم بحب،
لكن أيضا، اللحظة التي تتراءى لنا فيها عارية،
مثل إلهة
على رأسها إكليل من قصيدة فرشيكلي،
وإن لم ترتعش، لم تصمت
لسماعها
فسترتكب الخطيئة!

كم من خطيئة مماثلة هناك في هذا العالم
لا ننتبه لها!

ذات يوم غسقي
حيث بدأت بقجة السماء الرمادية بالتمزق

وحيث نجوم الشتاء أصبحت قريبة من أعيننا،
وضع الشاعر، الذي كان يستعد لتناول وجبة
المساء، قطعة الخبز الكبيرة على الطاولة،
وقشرتها البيضاء نحو الأعلى.

يا رب، لكانت أمي همهمت،
لو رأت الخبز بالمقلوب.
سيحدث أمر سيئ.
ولأدارت الخبز المقلوب بسرعة
ولباركته برسم شارة الصليب.

بعد وقت قصير، يموت الشاعر؛
تصدمه سيارة، ينقلب على البلاط الرطب
بين خطوط سكة الترامواي.
إذ، وحدها ريشة عصفور
تقع بهدوء على الأرض،
حتى أنها ترقص.
يموت موتا مأساويا مثل إميل فيرهارين.
برغم أن كاتب بهاء متعدد
لم يكن يوما
شاعر المفضل.

تحية إلى فلاديمير هولان

ثمة لحظات، نفكر فيها،
بأننا نحسد الأموات،
كما لو أن لا وجودهم الأبدي
لم يكن سوى لحظة راحة
في سلام عذب لا ألم فيه،
في زاوية هادئة وسط الزهور التي تذبل...

ومع ذلك، ارتجاج متعة صغير،
مهما كان، يكفي
ليجعلنا نعود طواعية
إلى أحزاننا اليومية.

عشت أكثر من جميع
شعراء جيلي...
كانوا كلهم أصدقائي.
فلاديمير هولان كان آخر الراحلين

فكيف لا أشعر بالكرب،
أنا وحيد.

جيري وولكر رحل أولا،
كان شابا ومستعجلا.
آه من هذه القبل المشؤومة
على الشفاه الحارة
لشابات مصابات بالسل في المصح
على شاطئ البحر!

بعد عدة سنوات، رحل يندريتش هوريسي.
كان أكبرنا.
كان ينظم شعره في مقهى ممتلئ
على طاولة صغيرة مستديرة،
مثل جندي يكتب، بعد المعركة، رسائل إلى حبيبته
على طبل مقلوب.

يوسف هورا الوحيد بيننا
من كان يخاطب ف. إكس. شالدا بألفة.
أدخلوا إذا إلى بستانه
لحظة تغطي الزهور الأشجار!
إنها مؤثرة، وفي أشعة الشمس، يفوح منها
عطر لوز مرّ.
فرانتشيك هالاس، بدوره، لم يودعنا،

هذا الرفيق الغالي.
كان يرغب في أن تنعب
قصائده في آذان الناس،
لكن، أحيانا، لا يتمالك نفسه
ويبدأ بالغناء.

قسطنطين بيبل غادرنا
بحركة مفاجئة.
ربما سقم من حنان
الشابات الجاويات[1]
اللواتي يشبهن الزهور المتفتحة
ويسرن بصمت على أطراف أصابعهن.

فيتزلاف نيتزفال كان يجدف ضد الموت
فانتقم منه.
حين مات فجأة في عيد الفصح[2]

مثلما تكهن هو بذلك،
انقصف غصن كبير من
شجرة الشعر.

---

(1) من سكان جاوة.

(2) هو أيضا يوم قيامة السيد المسيح من الموت.

فرانتسيك هروبان لم يكن يفكر
بالموت أبدا.
بداية، لم أكن أعرف أين يجد
أبيات أغانيه الشعبية،
بينما لم يكن يفعل شيئا، سوى الاستماع
إلى المياه الضاحكة لسدّ فوق نهر شاسافا.

فلاديمير هولان تأخر في الرحيل.
غالبا ما كان الهاتف يسقط من يدي.
في هذه المطيرة الملعونة التي هي بوهيميا
كان يرمي قصائده بازدراء
كما لو أنها قطع لحم دامية
لكن العصافير تشعر بالخوف.

طلب منه الموت أن يكون متواضعا
لكنه لم يعرف الهوان
وحتى اللحظات الأخيرة
صارع بضراوة.

الملاك الذي كان يمسك بذراعيه،
حين خارت قواه
جلس على حافة سريره
وبكى.

براغ في لوحة ثلاثية

إلى رودولف هافل

1 – دوار الربيع

القبعة في يدي، أسير
في شوارع براغ
وألمس حجارتها.
أحجار خشنة
لكن، عليها، وضع
الشاعر قبلاته.

طيلة حياتي، أحببت براغ،
مثلما أحبها جميع
شعرائنا.
ربما، لأني أحببتها كثيرا

كنت تعسا في غالب الأحيان.

مرات كثيرة، حرمتني النوم.
كنت أتوه في زواياها المعتمة
مداعبا عتمة لياليها
الساحرة، الحريرية.
يفوح منها عطر شعر امرأة
ورائحة السرنجة[1] الناعمة

نحن في عام 1981
كم مرت حياتي بسرعة!
على أشعاري،
التي طالما أحببت أن أكتبها عن هذه المدينة
سأضيف بعض المقاطع بعد.

لكني لن أمزقها أبدا،
مثلما كنت أفعل أحيانا
ببساطة كي أموت
والحناجر متعطشة للميازيب
المعلقة على كورنيش الكاتدرائية.
ستحين ساعتي عما قريب.

---

(1) جنس نبات.

تأخر الوقت!
إنها أبياتي الأخيرة.

2 – براغ في حلم
لم أعد أذكر في أي عام كان ذلك
تركت باريس وراء ظهري
– في أي حال، كانت ملعونة أكثر من مرة –
أحكمت حزام حقيبتي
وأسرعت بالعودة إلى دياري.
فجأة، شعرت برغبة في رؤية براغ مجددا
لأبقى فيها حتى موتي.

براغ تبتسم لي
وأرتعش
مثل عاشق، وبعد أن يرى عشيقته،
ينتظر بفارغ الصبر لحظة معانقتها
على جسر نوفوتني،
مرأى السد القديم يصيبني بالدوار.
أسمع ضجيجه المكتوم
مثل أغنية حب.
لم يكتبها موتسارت،

ليست على لائحة كوشيل،
المياه من ألفها
حين بللت شواطئ هذه البلاد.

الليل شلال نجوم
ينهمر على المدينة.
لكن شخصا من فوق كتفي
أمر، بلهجة محتقرة، لا أعرف من:
أعطوه عودا
وليحاول أن يغني!

كانت الأعوام مظلمة وقاسية
لكن خلف العاديات اليومية
تتلألأ الحيوات الكبرى.
يشتعل لهيبها في الأعلى وينطفئ
وسط النظرات الباكية.

فيما بعد، كنت أتنزه مع أموات
فوق جسر شارل،
إلى جزيرة كامبا الصامتة
إلى عجلات الطاحونة على شيرتوفكا.
تدور دائما على فراغ
وتطحن صمت الموت.

فلاديمير هولان هو من علمني
بعد وضعه في قلب الأرض
الكثير مما أعرفه عن الموت.
كان يعيش على بعض خطوات من هنا
ويعرف ذلك كله جيدا.
الموت في كل مكان.

تهرب حياتي بشكل أسرع
من أثير زجاجة مهشمة
طائر. ما العمل!
مكتئب مثل العديد
من المسنين
وفي الليل، غالبا ما تؤرقني
الأحلام الكئيبة.

بأشكالها المدهشة
وبألوانها المبهمة
تركي المدينة نفسها أمامي فجأة،
بحزن وقتامة،
محاطة بفكيّ المدن،
تظهر أسنانا متعددة،
تنتصب من وسطها أضراس
الأبراج المهددة.

هذه الليلة سأحلم
بأنها حاصرت براغ من جميع الجهات
وبدأت التقدم إلى قلبها.
تريد التهام حائط الجوع
وأشجار البلوط المنتصبة على طول الطريق،
وأن تعض العشب الريان
وكل أحواض الزهور.

للآسف، ستختفي كل هذه الدروب المحبة
التي كان يتنزه عليها العشاق
وهو يهمسون في هذيانهم.
ثمة غيوم من غبار رمادي غطت
الخضرة الندية
وزهور المغنولية التي في كامل تبرعمها
تهمهم بهدوء.

لكن حين يبدأون سريعا
بإزالة وتدمير
مقصورة بيترين القديمة
صديقة غرامياتي
فسأغلق عينيّ بشدة.

من الأفضل أن لا أفتحهما مجددا!
حين يزحف الشارع الأول
إلى قبر سميتانا
في مقبرة فيشراد،
ستطير الديكة، صارخة من الألم
لتسقط في الأجمات
المحاذية للنهر.

سيستيقظ النائم ناسيا كل الأحلام
ما عدا هذا.
سدى سترن صافرات الانذار،
سدى سيشتعل الفجر
وينتشر في السماء
كبحيرة دماء متجمعة
في مكان الحادث.

في نهاية الأمر، سألحظ أيضا
الأسماك النافقة العائمة على البحيرة
والمياه السوداء
كما لو أنها ساعة القيامة.

3 – على جسر نوفوتني
حدث هذا منذ مئة عام،

أو بالكاد بعد ذلك بسنوات قليلة
حين وطأته للمرة الأولى.
بدا كظهور إلهي!
للحظة، توقفت عن التنفس.
ومذ ذاك تفوح الضفة بالأكاسيا.

لسن وحدهن الممثلات الفاتنات،
أنا أيضا أشعر بصعوبة أن أشيخ.
ترعبني استقلالية الشيخوخة،
أخشى الوداع.

أعرف
ليست الحياة إلا وداع مستمر.
لا تعرف العصافير هذا الإحساس،
تغني ما يطيب لها
على أي غصن
وتشعر بالسعادة.

مزين بدانتيلا زاهية من الزبد
لا يتوقف السد عن الغليان
تاركا الأمواج تنساب واحدة بعد الأخرى
مثل بكرات فيلم
لا يروي سوى قصص الحب

أي بدون نهاية.

ذات مرة، بعد أن أظهره البرق
ولد جمال جسد المرأة
من الزبد الحريري.
قررت أن أكون شاعر النساء التشيكيات.
كنت أجدل في شعورهن من شَعر
هالة الأنوثة
وأختنق من المتعة.
أغطي بالقبل أقدامهن.
طيلة حياتي
عشت بفضل أسطورة الحب هذه.

غير أن، كومة من جليد محطم رحومة
شبيهة بمزق حجاب متكدر،
تجتاز كاسحة جلود الجسر
لتهدهدها المياه
ولتبتعد تحت أضلعه الثقيلة

برغم ذلك، لغاية هذا اليوم،
ألتهم براغ بعينيّ.
وحين أعود إلى منزلي
لا أنجح في أن أقرر فتح بابي

من الصعب عليّ أن أنزع نفسي
من هذه السقوف المسودة بالدخان.

ألتهم ضباب المصانع الخانق
وأفكر بجنائن براغ.
هي ذات نبل
وتبدو أكثر جمالا
عندما لا نستطيع تأملها
إلا من الخارج، خلل السياج.

اليوم، في هذه الساعة بالذات
أتعلق تحت السد بدرابزين الجسر
ماسكا إياه براحتي بثبات
إلى أن أتألم.
كما لو باستطاعتي أن أعبر بمعدنه البارد
عن دمعة حارة.

نظرة من على جسر تشارلز

لم تعد تمطر أبدا منذ فترة لا بأس بها.
في كنيسة الحج المورافية هذه،
حيث اختبأت من العاصفة
كانوا يغنون نشيدا مريميا
أبقاني هناك.
غالبا ما استمعت إليه في منزلي.

كان الكاهن قد قرفص على درجات
ومن ثم غادر المذبح،
أطلق الأرغن نحيبه الأخير، ومن ثم سكت،
بيد أن جمع الحجيج لم يتحرك.
بعد عدة دقائق
نهض الجمع المنحني
الذي ما زال ينشد، استدار
واستدار قافلا باتجاه باب الخروج.

لم أعد مطلقا إلى ذاك المكان،
لم أتوقف ثانية تحت أغصان الزيزفون
حيث، وتحت طنين النحل،
كانت تخفق رايات بيضاء.
دائما كنت أشتاق براغ،
حتى وإن لم أغب إلا قليلا
عن هذه الجدران.
يوما بعد يوم، أتامل بامتنان
قصر براغ،
وكاتدرائيتها،
بدون أن أستطيع نزع عينيّ
عن هذه اللوحة.
إنها لي
وأعتقد أيضا أنها عجائبية.

على الأقل، حددت مصيري.
حين يحل المساء
تحت نوافذ براغ،
بنجومه في الظل الشفاف
أسمع صوت المدينة العتيق
مع الشعر في الوقت عينه.
إن غاب هذا الصوت، سأكون أبكما

مثل عصفور
يدعي كيوي.

ثمة أيام يبدو فيها القصر والكاتدرائية
ذات قتامة نبيلة
كما لو أنهما بنيا
بحجارة مغمة
جلبت من القمر.

غير أن، فيما بعد، زينت أبراج براغ
بأنوار مشعة، بأزهار،
بزينة ناعمة أيضا
نسج فيها الحب أيضا.

خطواتي غير المسؤولة في الشارع،
مغامراتي الأنيقة
غرامياتي وما تبقى
كل ذلك غمر بالرماد الخفيف
حين استهلك الزمن نفسه.

على بعد خطوات من الطريق الملكي
ثمة زاوية معتمة
حيث العاهرات بشعرهن المشعث

يظهرن للمارين،
ينهمكن، إلى حجرهن الميت، في جلب
شبان عديمي الخبرة
مثلي أنا.
اليوم، كل شيء يبدو صامتا.
وحدها "أنتينات" التلفزيونات
أعلى السطوح
لا تزال تتردد إلى تلك الأماكن.

غير أن، ما أن أطأ بقدمي على بلاط
جسر تشارلز
حتى أعاود التفكير بالنساك
في كنيسة الحجيج هذه.

أي سعادة
في المشي فوق هذا الجسر!
حتى وإن حجبت دموعي صورته
في أغلب الأحيان.

هوامش

بيبيل، قسطنطين (1898 – 1951)، شاعر بروليتاري ومن ثم سريالي.

هاليك، فيتسلاف (1835 – 1874)، شاعر غنائي، ناثر ومسرحي.

هالاس، فرانتيتشيك (1901 – 1949)، شاعر، عضو جماعة "ديفيتشيل" الشعرية.

هودكيس – هوساكوفا ماريا، أستاذة من براغ، عاشت مع زوجها الإنكليزي في لندن.

هولان، فلاديمير (1905 – 1980) أحد أكبر الشعراء التشيك في القرن العشرين.

هورا، يوسف (1891 – 1945) شاعر بروليتاري،عضو جماعة "ديفيتشيل" الشعرية، ثم مال بشعره نحو الوجدانية.

هورسيي، يندريتش (1886 – 1941) شاعر بروليتاري ثم غنائي، عضو عضو جماعة "ديفيتشيل" الشعرية.

هروبان، فرانتشيك (1910 – 1970)، شاعر وناثر ومسرحي، عضو جماعة "ديفيتشيل" الشعرية.

يانيتشيك، أوتا، رسام وفنان تشكيلي، كان صديقا لسيفيرت.

لوري، (إليونور شومكوفا) حبيبة ماتشا الثانية.

ماتشا، كاريل هاينك (1810 – 1836) أكبر شعراء تشيكيا الرومنسيين. كتب القصة أيضا.

مارينكا (ماريا ستيكوفا) حبيبة ماتشا الأولى.

نيتزفال، فيتسلاف، (1900 – 1958) شاعر وناثر ومسرحي. ترجم العديد من الشعراء الفرنسيين إلى اللغة التشيكية. أحد مؤسسي جماعة "ديفيتشيل" الشعرية.

شاعر الخاتم الختمي – يوسف باليفيتش (1886 – 1975)، شاعر ومترجم فاليري إلى التشكية وسيفيرت إلى الفرنسية، عمل في الحقل الدبلوماسي حتى الثلاثينيات في باريس وجنيف، سجن في الخمسينيات.

بريميشيل اوتاكار الأول – ملك بوهيميا (1165؟ – 1230).
أسست ابنته، القديسة أنيس – البوهيمية ديرا في براغ.

بوشماجر، أنطونان ياروسلاف – (1769 – 1820)، شاعر ومنظّر علم العروض التشيكي، كان نحويا ايضا. ترجم مونتسكيو إلى التشيكية.

سميتانا، بيدريخ – (1824 – 1884)، مؤلف موسيقي وسيمفوني.

شالدا، فرانتسيك كزافر – (1867 – 1937) أحد النقاد الأدبيين الأساسيين في تشيكيا خلال العشرينيات والثلاثينيات.

تيشي، فرانتسيك – رسام وفنان تشكيلي، كان صديق سيفيرت.

توايان – (ماري شيرمينوفا، 1902 – 1980)، رسامة كانت عضوة في جماعة السرياليين التشيك. عاشت في باريس بين 1925 و1929 ومن 1947 حتى رحيلها.

أولريك فون ليفيتزوف، من أواخر النساء التي وقع غوته في غرامهن.

فرشليكي، ياروسلاف (إميل فريدا 1853 – 1912)، شاعر ومسرحي وناثر ومترجم العديد من الكتاب الفرنسيين إلى اللغة التشيكية، ناقد أدبي، وأحد أهم شعراء تشيكيا في نهاية القرن التاسع عشر.

فولكر، جيري– (1900 – 1924) أكبر شاعر تشيكي بروليتاري على الاطلاق.

زيير، يوليوس (1841 – 1901) شاعر وناثر ومسرحي، أحد الشخصيات الأدبية المهمة على الساحة الثقافية التشيكية في نهاية القرن التاسع عشر.

بزوفكا – مطعم شعبي، لم يعد له اثر في العصر الراهن، كان يقع في حي جيجكوف في براغ.

تشيرتوفكا – ذراع مائي على نهر فلاتافا، في براغ، يفصل بين كامبا وحي مالا سترانا.

دولاني – قرية بالقرب من كرالوبي.

جيلوفي – مدينة مناجم فحم جنوب براغ، منذ القرن الوسيط. اختفت مناجمها اليوم.

جيزيرة – نهر صغير في شمال بوهيميا.

كامبا – جزيرة على نهر فلاتفا، وسط براغ

كارلوفي فالي – مدينة مائية في بوهيميا الغربية.

كلادنو – مدينة مناجم وصناعات غرب براغ

كرالوبي – مدينة صناعية صغيرة على نهر الإلب، مسقط رأس والدة سيفيرت.

الجبل الأبيض – هضبة بالقرب من براغ، تشكل اليوم أحد أحياء العاصمة. في خريف العام 1620، دارت فيها المعركة الفاصلة بين بروتستانت بوهيميا وكاثوليك "الأمبراطورية الألمانية المقدسة". انهزم البروتستانت شر هزيمة فسقطت مملكة بوهيميا تحت سيطرة آل هاسبورغ في النمسا لمدة 300 عام.

مورافيا – الجزء الشرقي من مملكة بوهيميا القديمة. عاصمتها برنو.

جدار الجوع – التحصينات التي أقيمت في القرن الرابع عشر فوق هضبة بيترين.

نيلاهوزيفيز– مدينة صغيرة بالقرب من كرالوبي.

جسر نوفوتني – جسر يصل الضفة اليمنى من نهر فلاتافا بطواحين المدينة القديمة.

بيترين – هضبة مليئة بالأشجار بالقرب من قصر براغ.

جسر تشارلز – جسر غوطي على نهر الفلاتافا بناه الأمبراطور شارل الرابع في منتصف القرن الرابع عشر.

جسر بالاكي – أحد الجسور على نهر فلاتافا

ستفانيس – جزيرة في نهر فلاتافا في براغ

نبع الصليب – نبع ماء في ماريانسكي لازني (مارينباد)، مدينة مائية في بوهيميا.

فلاتفا – نهر يجتاز بوهيميا من الجنوب إلى الشمال ليصب في الإلب شمال براغ

الدرب الملكي – الدرب الذي كانت المواكب تسير عليه خلال تتويج ملوك بوهيميا.

فيشيهراد – صخرة ضخمة على الضفة اليمنى لنهر الفلاتفا حيث أقيم أول منزل لأمراء بوهيميا.

جيجكوف – حي شعبي في براغ أمضى فيه سيفيرت طفولته.

سوكول – جمعية رياضية ووطنية تشيكية.